الاستشراق والخطاب التوراتي في وسائل الإعلام الأمريكية

التقارير الصحفية عن القدس عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧*

ستيفن بينيت**

ملخص

تطرح هذه المقالة خلاصةً مفادها أن تقارير وسائل الإعلام الأمريكية عن الصراع العربي الإسرائيلي، قد جانبت الصواب، خصوصاً بشأن مركز القدس المتنازع عليها، بسبب عاملين رئيسين:

- التوجه الأميركي لصالح إسرائيل، الناجم عن انتشار الفكرة المتجذرة في المعتقدات المسيحية الأصولية القائلة بالملكية اليهودية لفلسطين والقدس.
- انتشار الخطاب الاستشراقي في وسائل الإعلام الرئيسية، التي تعمل بطبيعتها على تهميش عرب فلسطين.

لقد أدّى هذان العاملان الرئيسان إلى خلق ظروفٍ للرأي العام الأميركي وللسياسة الأمريكية، توفر مصداقيةً ضئيلةً للمطالب الفلسطينية المتعلقة بأرض فلسطين وبمدينة القدس. بالإضافة إلى ذلك، إنّ الخطاب في تقارير وسائل الإعلام الرئيسية حول الحربين العربية الإسرائيلية عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ على حد سواء قد أحيي وأستند إلى الخطاب التوراتي وتعبيراته في كثير من الأحيان، الأمر الذي عمّق ورسّخ موقف التفضيل والانحياز الأميركي غير المتوازن لصالح إسرائيل. وفي حين ينكر بعض العلماء تأثير الدين على سياسة الولايات المتحدة الشرق أوسطية، لصالح اعتماد المصالح الجيو-استراتيجية أساساً للتحليل، فإنني أرى أن الدّين له نفوذ كبير في الحياة والثقافة داخل الولايات المتحدة الأمريكية، لذا، فمن الطبيعي أن يكون له تأثيرٌ كبيرٌ على السياسة الخارجية وعلى الرأي العام المحلّي.[١]

مقدمة

هذا التحليل الموجز هو محاولة للكشف عن بعض من التأثيرات الرئيسية المسؤولة عن خلق واستمرار الصراع العربي الإسرائيلي بالشكل الذي هو قائم عليه اليوم، وكشف دور الولايات المتحدة في تسهيل الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، ودورها كذلك في تبرير هذا الاحتلال الشامل لكل القدس. وما أريد قوله هنا، هو أن هناك تحيزاً موروثاً ومتأصل الجذور في الفكر الصهيوني المسيحي في الولايات المتحدة، ويمكن ملاحظة هذا التحيز بسهولة في التقارير الغربية حول الصراع في فلسطين-إسرائيل.[٢] كما أن هناك خطاباً استشراقياً متفشياً في وسائل الإعلام الرئيسية، إذ يستخدم هذا الخطاب في وسائل الإعلام الأميركية غالباً، عبارات مماثلة لما يستخدم اليوم في الأعم الأغلب من قبل الجماعات الإنجيلية المسيحية الأصولية، كما أنّ هذا الخطاب لا يزال ييسِّر انتشار وجهات النظر والسياسات التي تعطي القليل القليل من المصداقية لمطالبات الفلسطينيين بأرضهم، بما فيها القدس، وهو خطابٌ لا يزال يكوِّن وينمّي تعاطفاً حاسماً لإسرائيل في الرأي العام الأمريكي. ومعلومٌ أنّ هذه الآراء تشكِّل أنماط التصويت في أمريكا، الأمر الذي يفرض بعد ذلك على صانعي السياسات في الحكومة الأميركية التعبير عن هذه الآراء المتعاطفة مع إسرائيل. تتابع هذه الدراسة هذا الخطاب، وتكشف التحيز المتأصل فيه، من خلال استخدام وتحليل مقالاتٍ نشرت في صحفٍ ومجلاتٍ إخباريةٍ خلال أوقاتٍ محوريةٍ ومتأزمةٍ في فلسطين-إسرائيل، وتحديداً خلال الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨، وحرب الأيام الستة عام ١٩٦٧.

---

* ترجمة سميح حمّودة.

** مرشح لدرجة الدكتوراه، جامعة جنوب إلينوي، الولايات المتحدة.

١ See Stephen Walt and John J. Mearsheimer's *The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy*. While their arguments are persuasive, they are very dismissive of the influence of evangelic Christians in US politics and foreign policy.

٢ يستخدم الكاتب هذا التركيب للدلالة على فلسطين التاريخية التي أقيمت إسرائيل على القسم الأعظم منها، فهو لا ينفي فلسطين ولا يذكر إسرائيل وحدها [ملاحظة من المترجم].

تتكون الوثائق الأولية والأدلة الداعمة (لأطروحاتي) والمستخدمة في هذه الورقة من عينات من الصحف والمجلات الأميركية، في المقام الأول: مجلتي تايم ونيوزويك، وصحف النيويورك تايمز ، شيكاغو صن تايمز ، ولوس أنجلوس تايمز خلال أوقات النزاع في فلسطين-إسرائيل عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧، ويتم تحليل هذه المواد من خلال الإطار الذي قدّمه إدوارد سعيد لتحليل الاستشراق، فقد وصف سعيد الاستشراق بأنه وسيلةٌ للتوصل إلى فهم للشرق يستند إلى مكانة الأخير الخاصة في التجربة الأوروبية الغربية، أو أنّه نظام من التفكير مشحونٌ سياسياً، وكتابياً، وتعليمياً[٣]. إن ما يثير اهتماماً خاصاً هنا هو عملية التصوير الاستشراقي للعرب والفلسطينيين «كآخر»، والتي يمكن رؤيتها في أغلب الأحيان في وسائل الإعلام والخطاب الإنجيلي، إنّ هذا النوع من الاستشراق ينطوي أيضاً على مناقشة لقضايا العرب في وسائل الإعلام مشوبة بالعنصرية. ستحاول هذه الدراسة أيضا الكشف عن مزيد من السبل التي يقدم بها الوعاظ الإنجيليون الحاليّون، ذوي الشعبية الواسعة، إسرائيلَ باعتبارها من الأقارب أو باعتبارها نائبةً عن الولايات المتحدة وعن المجتمع المسيحي، و باعتبارها كذلك لاعباً محورياً في سيناريوهات»نهاية العالم».[٤]

يجب أن يقرأ تحليل الأدلة هنا مع الأخذ بعين الاعتبار مفاهيم الذاكرة الاجتماعية الجماعية، والعلاقة بين التاريخ والذاكرة، وتأثيرها على المجال السياسي. وهي المفاهيم التي تمّ بحثها في كتاب ياعيل زروبافل، الجذور المستردة: الذاكرة الجماعية وإنتاج التراث الوطني الإسرائيلي. وفيه تدرس زروبافل «كيف يتم بناء معنى الماضي، وكيف يتم تعديله على مر الزمن»، وذلك كنتيجة للذاكرة الاجتماعية والجماعية، والتي تختلف اختلافاً واضحاً عن دراسة التاريخ والأحداث التاريخية الفعلية نفسها[٥]. ووفقاً لزروبافل، فإنّ التاريخ هو «نتاج تمحيص علمي لسجلات الماضي»، والذي هو علم فوق-عضوي (SUPERORGANIC) مفصولٌ عن الضغوطات الاجتماعية-السياسية للواقع القائم. تشكل الذاكرة الجماعية من جهة أخرى جزءاً عضوياً من المجتمع الذي يتحوَّل باستمرار استجابةً لاحتياجاته المتغيرة»،[٦] وعادةً ما تكون هذه الاحتياجات المتغيرة جغرافية-استراتيجية (GEOSTRATEGIC)، ويتم بالتالي تحديدها للجمهور من قبل الحكومة وتكتلات الشركات، وذلك من خلال وسائل الإعلام، ولكنها تأتي معبّأة بطريقة تناسب الفهم الجماعي، والمخاوف، والمصالح العاطفية للجمهور. في الحالة التي ندرسها هنا، تكمن هذه المصالح والمخاوف النفسية في المعتقدات المتعلقة بالعقيدة الألفية المسيحية،[٧] وللتفسير الحرفي للتوراة.[٨] تقع معتقدات عقيدة العصر الألفي السعيد في قلب معظم المعتقدات المسيحية والإنجيلية المتعلقة بدور إسرائيل فيما يتعلق ب»نهاية العالم.» وهو تفسير تنبؤي معقد للنصوص المقدسة المتعلقة بالمجيء الثاني للمسيح ونهاية العالم، والإيمان به منتشر بعمق. تستند المعتقدات بشأن الأحداث المحيطة بنهاية العالم على قراءات من «مرقس ١٣، متّى ٢٤، ولوقا ٢١»، وعلى الاعتقاد بسفر الرؤيا من حيث هو نبوءة عن نهاية العالم[٩] وكدليل على صحة هذه الكتب المقدسة، يرى أولئك الذين يؤمنون بعقيدة العصر الألفي السعيد تدفق اليهود إلى «الأرض المقدسة»، وتأسيس دولة إسرائيل كمقدمة لسيناريو نهاية العالم. في الحقيقة أنّه بعد تأسيس دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، تمّ «تشجع المؤمنين على الاعتقاد بأن النبوءات هي، في الواقع، صحيحة».[١٠]

في استخدامي لمفهوم الذاكرة الجماعية هنا، فإنّ تفسير الأحداث التاريخية هو نتيجة لخطاب ثابت متعلق بتلك الأحداث، وهو خطاب بدأ منذ بداية حرب ١٩٤٨، وهيمن على الخطاب المتعلق بالأحداث اللاحقة في الصراع العربي-الإسرائيلي. هذا الرسوخ في الخطاب، متزاوجاً مع فكرة التحديد (الإلهي) المسبق (القدري) المتجذرة في الدين هو بالضبط ما يناقشه أرفين أندرسون في كتابه «تفسير الكتاب المقدس والسياسة الشرق أوسطية»، والتي هي جزءٌ لا يتجزأ من سياسة

٣ Edward Said, *Orientalism* (New York: Vintage Books, 1994), 1.

٤ Edward Said. *Covering Islam*, New York: Vantage Books, 1997, xxi.

٥ Yael Zerubavel. *Recovered Roots*: *Collective Memory and the Making of Israeli National Tradition*, Chicago: University of Chicago Press, 1995, 3.

٦ Ibid, 4

٧ تقول عقيدة الألفية المسحانية بأن المسيح عيسى بعدما يعود ثانيةً إلى الأرض يقاتل الكافرين به ويقضي عليهم تماماً في معركة فاصلة تقع في سهل مجدّو في فلسطين (هرمجدّون). وستعيش البشرية بعد ذلك ألف عامٍ سعيدة تحت حكم المسيحية [ملاحظة من المترجم].

٨ تفسير بأخذ معاني التوراة والأناجيل على ظاهرها دون أي تأويل أو اعتبار للرمزية في النصوص [ملاحظة من المترجم].

٩ Anderson, Irvine H. *Biblical Interpretation and Middle East Policy*: *The Promised Land, America, and Israel*, 20021917- ,University Press of Florida, 2005, 19.

١٠ Ibid, 19.

الولايات المتحدة تجاه فلسطين. لقد أعاق هذا الرسوخ بشكل فعّال، في سياق تاريخي أكثر دقة، قدرة الأميركيين على إعادة تفسير وتقديم رؤية متوازنة لأحداث هامة في الصراع العربي الإسرائيلي.

القدس في تقارير الولايات المتحدة عن حرب ١٩٤٨

إن القول بأن التأريخ لحرب ١٩٤٨ وتأسيس دولة إسرائيل، يتنوع على نطاق واسع هو تبسيط تاريخي كبير. إذ يتم مناقشة عدد قليل من الأحداث التاريخية مثلما يتم باستمرار مناقشة الأحداث التي وقعت في فلسطين-إسرائيل عام ١٩٤٨، ولعلّ واحدة من أبرز المناقشات بشأن مبادئ تأسيس الدول، وذاكرتها الجماعية، ورواياتها التاريخية هي النقاش الدائر بين المؤرخين من جميع الجنسيات والميول بشأن الترحيل الجماعي للفلسطينيين وقيام دولة إسرائيل.

كانت الجماعات الصهيونية، في العقود السبعة الماضية التي سبقت حرب ١٩٤٨، تعمل بنشاطٍ على تأمين هجرة اليهود من أوروبا وروسيا والولايات المتحدة، ومن العالم العربي أيضاً، إلى فلسطين، وذلك على أمل تكوين أغلبية يهودية، ومن ثمّ إقامة الدولة اليهودية فيها. ويمكن جزئياً اعتبار اليهودية الصهيونية، بدلاً من المسيحية الصهيونية الدينية، نتاجاً لمعاداة السامية والتمييز الأوروبي والروسي ضد اليهود، فقضية دريفوس الشائنة في فرنسا، والمذابح في روسيا تعتبر أمثلة على المشاعر المعادية لليهود، التي كانت منتشرةً على نطاق واسع في تلك المناطق، وقد ساعدت هذه المشاعر على بلورة الموقف الصهيوني المنادي بضرورة وجود دولة يهودية. وارتفعت عقب ذلك، في فلسطين حدة التوتر بين الفلسطينيين العرب وبين اليهود الذين هاجروا حديثاً. كان الألم من جرح الاستعمار الأوروبي ما يزال واضحاً تماماً لشعوب الشرق الأوسط خلال هذه الفترة، وكانت التوترات واقعةً أيضاً بين يهود فلسطين وبين الدول العربية المجاورة، التي بدأت ترى في الحركة الصهيونية استمراراً للاستعمار الأوروبي، خصوصاً عندما ارتفع عدد المهاجرين اليهود إلى الآلاف. هذا بالإضافة إلى ارتفاع مد القومية العربية، خلال هذه الفترة من التاريخ، فقد ارتفعت وبرزت بشكل أكبر بعدما تم تفكيك الإمبراطورية العثمانية التركية أوائل القرن العشرين، وعندما بدأ القوميون العرب يدعون إلى أشكالٍ مختلفةٍ من السيادة العربية. لقد كانت رؤية خسارة فلسطين للبريطانيين أولاً ثم للصهاينة، بما تمثله منطقة كهذه من أهمية دينية وتاريخية، وأهمية على الصعيد الإقليمي، بمثابة ضربة كبيرة ومريرة للقوميين العرب، فقد فُقدت فلسطين نتيجة «لغزو قام به مجتمع غريب دينياً وثقافياً وعرقياً لمنطقة يعتبرها العرب أنها خاصة بهم».[١١]

لم يمض وقت طويل بعد القتال بين ميليشيا منفصلة للمقاومة العربية والصهيونية، حتى أجبرت المقاومة البريطانيين على الجلاء من فلسطين، وأعلن من جانب الأمم المتحدة عن تقسيم فلسطين إلى دولتين منفصلتين، وذلك في تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٤٧. أدّى هذا في النهاية، بالإضافة إلى إعلان الاستقلال الإسرائيلي إلى اندلاع الحرب العربية الإسرائيلية في أيار/ مايو من عام ١٩٤٨، واستمرارها حتى تموز/ يوليو من عام ١٩٤٩. لقد طُرد الفلسطينيون من فلسطين في خضم فترة تصفية الحكم الاستعماري الأوروبي من الشرق الأوسط، وخلال المقاومة العربية لإنشاء إسرائيل، والانشغال الإسرائيلي بمواجهة الميليشيات الفلسطينية وصد هجوم القوات العسكرية العربية المجاورة، وذلك من كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٧ حتى آذار/ مارس ١٩٤٩.[١٢]

لقد كانت وسائل الإعلام الرئيسية، والسرد التاريخي لهذه الأحداث المقروءة في أمريكا تتعاطف مع، وتستند إلى، المصادر الصهيونية والإسرائيلية. ولقد كان هذا واضحاً حتى في القصص الإخبارية الأولى، والكتب، وتقارير وسائل الإعلام السائدة حول «حرب الاستقلال» الإسرائيلية. ونادراً ما سُمعت ضمن هذه الروايات، هذا إن سُمعت أصلاً، أصوات العرب والفلسطينيين. ويمكن القول أن هذا، بالإضافة إلى التحيز العرقي والديني والميول المسبقة، كان أحد الأسباب الرئيسية لكون أن دعم الولايات المتحدة لإسرائيل دون قيد أو شرط، ولكونه راسخاً لا يتزعزع، وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان التعبير والخطاب التوراتي بارزاً جداً في وسائل الإعلام الأميركية السائدة، مما زاد من الانحياز الأميركي المسبق لصالح الأهداف الإسرائيلية في فلسطين.

لقد شمل التمثيل الاستشراقي للعرب والفلسطينيين صوراً نمطيةً وأوصافاً سلبية لا تعد ولا تحصى. ودلّت هذه الأوصاف المنشورة في وسائل الإعلام عن العرب

---

١١ E.G.H. Joffe. «Arab Nationalism and Palestine,» *Journal of Peace Research*, Vol. 20, No. 2, 1983.

١٢ For more on the Palestinian expulsion see Ilan Pappe's *The Ethnic Cleansing of Palestine*, Oxford: One World Publications, 2006.

وهو متوفر في ترجمة عربية بعنوان: التطهير العرقي لفلسطين (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٧)

أنهم متعصبون بطبيعتهم، أغبياء، ومتخلفون اجتماعياً. ونشرت جنباً إلى جنب مع هذه الأوصاف كتابات حول «أطفال إسرائيل الجدد» الذين استولوا على المنازل العربية، ونظفوها لصالح المهاجرين الجدد، «وهي كتابات نجمت عن نزعة مثالية ترمي للمساعدة في خلق حضارة جديدة في المشرق العربي القديم»[١٣] نشر كينيث بيلبي، وهو مراسل لصحيفة نيويورك هيرالد تريبيون عند اندلاع الحرب عام ١٩٤٨، وجهات نظره في الحرب في كتابه الصادر عام ١٩٥٠ «نجمة جديدة في الشرق الأدنى» (New Star in the Near East) ، يصف بيلبي هؤلاء الإسرائيليين الجدد الذين «يعيشون في خضم الحضارة الإسلامية، وتحيط بهم الدول المجاورة والمعادية، وهي تفوقهم أربعين مرة في عدد السكان،» على أنهم يهود محاصرون في الزاوية، يرتعدون خوفاً وهم غير قادرين، على ما يبدو، على الدفاع عن أنفسهم[١٤]، وأثناء محاولته استبعاد الأسطورة، و»المفهوم الرومانسي»، حول الجندي البدوي الشرس والمعبأ بقوة، المعتلي لأسطول من المهر العربية، يعرب بيلبي عن إعجابه «بالرجل من الغيتو اليهودي، المجهز بالسلاح، الذي يخدم حكومته للمرة الأولى، ويقاتل وظهره للبحر، والذي أصبح بسبب الضرورة شجاعاً وقاسياً بلا رحمة، بل ومن العجيب أنه أصبح أيضاً قابلاً للتكيف مع الانضباط العسكري»[١٥]

أيضاً، يقارن مراسل الصحيفة الأميركية مراراً وتكراراً الإسرائيليين الجدد بالثوريين الأمريكيين، وبرجال التخوم، الذين عرضوا كل خصائص سرعة الغضب التي يبديها مخفر في الغرب الأمريكي منخرطاً في شجار في فترة صراع الحدود الأميركية. يقارن بيلبي بين موشيه ديان، الذي «لم يتعرض أبداً لتجربة أو مواجهة مع معاداة السامية،» وبين «مزارعي إنديانا»، الذين كانوا أيضا أحراراً من «تعقيدات» من هذا القبيل[١٦].

وطبقا لإدوارد سعيد، فإنّ جانباً مهماً من وجهات النظر الاستشراقية الأمريكية أنّ «الأميركيين يميلون إلى التماهي مع المجتمعات الأجنبية أو الثقافات التي تعكس ريادية وروحاً جديدةً، كإسرائيل على سبيل المثال، من خلال تخليص وانتزاع الأرض من استخدام مريضٍ أو من أيدي المتوحشين، في حين أنهم في كثير من الأحيان لا يثقون في الثقافات التقليدية، وليس لديهم الكثير من الاهتمام بها، حتى تلك الثقافات التي تشهد مخاض نهضةٍ ثورية»[١٧]، يلاحظ هذا بالتأكيد في الإشادة المعتادة لبيلبي والصحافة الغربية بروح الحدود عند الإسرائيليين.

مع ذلك، فإنّ صفحات «نجمة جديدة في الشرق الأدنى» تصوِّر عرب فلسطين وبلاد الشرق الكبير دائماً بالأغبياء، وبأنهم فاقدون للاتجاه، شائنون، وأنّهم مصدر تهديد للغرب. يُعلِّم القارئ للكتاب «هتافات الجنود العرب للحرب» المتردد صداها عبر التلال، كما لو أن المقصود تبيان عنصر الوحشية في القوات العربية. وقد أشارت مجلة التايم إلى الملك عبد الله، ملك شرق الأردن، عند حديثها معه عام ١٩٤٨، أنّه «مثل كل الزعماء العرب، كان عليه أن يصدر أصواتاً وإيماءاتٍ حربية.»[١٨] مقابل ذلك، وفي تناقض صارخ، إن هتافات الإسرائيليين وهم يحتفلون قد تمّ أمركتها، ووضع عليها علامة «هتاف برونكس.»[١٩] إنّ هذا المثال البسيط جدا، ولكن المهم للغاية أيضاً، يعكس ما كتبه إدوارد سعيد حول النظر للعرب والمسلمين على أنّهم يشكّلون «الآخر» بينما ينظر للإسرائيليين على أنهم «نحن»، وهذه ثنائية «تصور مصير المسلمين بالفشل في فورة غضبهم اللاعقلاني بينما نتمتع «نحن» بالعقلانية والتفوق الثقافي»، يستطرد سعيد قائلاً : «يصيح المسلمون ويرغون ويزبدون في عالم بالكاد هو أكثر من خيال صبياني. وأخيراً، فإنّ عالمنا «نحن» هو عالم إسرائيل والغرب؛ وعالمهم هو عالم الإسلام وكل الآخرين.»[٢٠] وعلى ما يبدو، فإن هذه الثنائية تمتد حتى تشمل الطريقة التي توصف فيها أفراح العرب والمسلمين وبكاءهم.

لقد ناقش إدوارد سعيد طبيعة موقف وسائل الإعلام الغربية وتقاريرها عن الإسلام والمسلمين والعرب مطولاً في كتابه «تغطية الإسلام»، يقول سعيد أن «الكثير مما يقرأه المرء أو يشاهده في وسائل الإعلام الغربية عن الإسلام يصور له العدوان على أنّه آتٍ منه (أي من الإسلام) وبسبب ماهيّته بذاته. إنّ الظروف المحلية والملموسة، مثل هذا العدوان من القوى الخارجية واستعمار القوى الغربية للمسلمين هي بالتالي مطموسة. وبعبارة أخرى، فإن تغطية الإسلام هي نشاط من جانب واحد، وتسلط الضوء على ماهية العرب والمسلمين، بحكمٍ طبيعتهم المعيبة جدا»[٢١]، (التشديد من الأصل). ووفقاً لسعيد، «فإنه يتم إنشاء تمثيل عن ماهية العرب

١٣ Kenneth Bilby. *New Star in the Near East*, New York: Doubleday and Company, Inc., 1950, 1.

١٤ Ibid, 3.

١٥ Ibid, 17.

١٦ Ibid, 74.

١٧ Said, *Covering Islam*, 54.

١٨ «Foreign News: Reluctant Dragon,» *Time*, Monday, May 24th, 1948 (accessed March) 8th, 2010

١٩ Ibid.

٢٠ Said, *Covering Islam*, xxxiii.

٢١ Said, *Covering Islam*, xxii.

والمسلمين في خطاب وسائل الإعلام الغربية عن طريق مصمَّمَة من أجل «تصوير دونية الدين الإسلامي مقارنة مع الغرب، والذي يُفترَض أنَ الإسلام عاقد العزم على معارضته ومنافسته والاستياء منه، وأن يكون غاضباً منه.»[٢٢]

أما بشأن القدس بشكل خاص، فقد واصلت تقارير وسائل الإعلام الخطاب الاستشراقي عن حرب ١٩٤٨، ويبدو أنها تشير إلى أن التهديد الذي يتعرض له كل من الإسرائيليين الجدد والقدس، المدينة المقدسة عند جميع الأديان الإبراهيمية الثلاثة، كان أيضاً من نتاج الإسلام نفسه، فكثيراً ما يصوّر بيلبي السكان العرب في فلسطين كأجانب على أرضهم، أو يغفل تماماً، عن عمد، أن فلسطين بلدٌ عربي؛ وفي حديثه عن وصف كيف «شكّل العرب حلقةً فضفاضة حول القدس، وقد غطت القرى العربية ضواحي المدينة المقدسة في دائرة نصف قطرها ٣٦٠ درجة، وفي إعدادهم المشهد للمعركة في القدس عام ١٩٤٨، كان بيلبي يشير إلى أن الأهالي العرب الذين كانوا بعينهم يعيشون هناك مثّلوا تهديداً للقدس نفسها.[٢٣] هناك أيضا قصص صحفية من عام ١٩٤٨ تشير بقوة إلى أن القوات العربية كانت هي الغازية في فلسطين؛ يقدِّم العنوان «تقارير عن أنّ أربعة جيوش عربية تسير نحو فلسطين...ستقع الأرض المقدسة تحت الهجوم غداً»، قصةً يطلق فيها الكاتب على القوات اليهودية لقب «المدافعون اليهود»[٢٤]، إذ يرسم استخدام هذه المصطلحات، مثل تسمية العرب ب»المهاجمين» وتسمية القوات اليهودية ب»المدافعين»، صورةً صارمةً عن المعتدي والضحية للقارئ غير المطّلع على حقيقة الأمور، دون تقديم أية خلفية تاريخية له.

توفر تقارير صحفية من هذا القبيل بعض الأجوبة، التي يمكن بلوغها بسهولة كبيرة لبعض الأسئلة، مثل: لماذا كان، وما زال لدى الأمريكيين في نظرتهم للصراع العربي الإسرائيلي وجهات نظر سلبية حول العرب، ولماذا يقدِّمون الدعم لمثل هذه السياسة غير المتوازنة. لقد فاقمت عناوينُ أخرى، مثل «العرب يسيرون نحو فلسطين»[٢٥] و»محنة المدافع اليائس»[٢٦] (في إشارة إلى القوات اليهودية)، المشاكلَ المتأصلة في تقارير وسائل الإعلام هذه، والتي كانت لغتها، وبشكل واضح في كثير من الأحيان، تُفضِّل الإسرائيليين، وتقدمهم على أنهم المالكون والسكان الشرعيون لفلسطين. إن من المؤكد أن يترك هذا الاختيار الدقيق للكلمات والعبارات انطباعاً ملحوظاً لدى القارئ الأميركي العادي، وينبغي للشخص أن يعتبر حقيقة، أنه من وجهة النظر الفلسطينية فإنّ قوات العرب هي قوات المدافعين، وهذا يعني أنّ تحديد المعتدي هو أمرٌ نسبي، ولكنّ رؤية جانبٍ واحدٍ فقط هي التي يتم توفيرها باستمرار في هذه التقارير. لقد وضعت أيضا المطالب العربية المتعلقة بفلسطين صراحةً موضع التساؤل من خلال الاستخدام الانتقائي للّغة ولعلامات الترقيم، مثل ما يمكن رؤيته في قصة عدد تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٨ من مجلة التايم ، وفيها تدّعي المجلة أنّ «حكومة مفتي فلسطين العربية أعلنت عن استعدادها للتنازل عن أراضي»ها» للملك عبد الله،[٢٧] ملك شرق الأردن». إنّ استخدام علامات الاقتباس حول الضمير «ها» يعني أن العرب والحكومة العربية الفلسطينية لا يملكون أية ادعاءٍ شرعيٍ بملكية الأراضي الفلسطينية في المقام الأول.

وفي بعض المصادر يُلقى باللوم على العرب فقط لنشوب القتال، وتوصف الحرب على أنّها «حرب مقدسة،» من وجهة نظر العرب، فعلى سبيل المثال، نشرت صحيفة شيكاغو تريبيون في خضم القتال وفي وقت مبكر من الحرب عام ١٩٤٨عنواناً يقول «سوريا تتسلَّم قيادة الحرب على التقسيم: وتدرِّبُ المقاتلين للحرب المقدسة»، ووصفت الصحيفة الاشتباكات «بالحرب العربية في الأراضي المقدسة»، معطيةً الانطباع بأن العرب هم المعتدون الوحيدون أو البادئون في القتال.[٢٨]

في عدة حالات في «نجمة جديدة في الشرق الأدنى» يربط بيلبي، وكذلك يبرر، إنشاء دولة إسرائيل بنبوءة توراتية، وهو يفتتح الكتاب بالقول أنّ قرية سعسع الفلسطينية، «التي لم تتغير منذ أكثر من ألف سنة، كانت أضحية على المذبح، مثل خراف النبي إبراهيم، وذلك من

٢٢ Ibid, xxv.

٢٣ Bilby, *New Star*, 26.

٢٤ «Four Arab Armies Reported on March Toward Palestine: Official Syrian Circles Say Holy Land Will Be Under Attack Tomorrow,» *Los Angeles Times*, May 14, 1948 (accessed April 9, 2010).

٢٥ «Arabs March Into Palestine,» *Los Angeles Times*, March 6, 1948 (accessed April 9, 2010).

٢٦ Special to *The New York Times*, «Defenders» Plight Desperate.» *New York Times*, May 20, 1948 (accessed April 9, 2010).

٢٧ «Israel: In Abraham's Bosom,» *Time*, Monday, November 1st, 1948 (accessed March 8th, 2010).

٢٨ «Syria Takes Lead in Fight on Partition,» *Chicago Daily Tribune*, February 3rd, 1948 (accessed March 8th, 2010).

أجل تحسين أوضاع شعب إسرائيل.»[٢٩] مرة أخرى، وكما يتضح في اقتباسات مختارة أعلاه، فإن الفلسطينيين العرب هم من عليهم التضحية من أجل تحسين أحوال «شعب إسرائيل». ودون أي سياق أو أية مقدمة من أي نوع، يدرج بيلبي فقرة تأتي بشكل واضح للغاية أنها خارج السياق تنص على أنّ «داوود، وشاؤول، وسليمان، وغيرهم من ملوك الكتاب المقدس، سيتفاجأون إذا عادوا لزيارة وطنهم القديم عام ١٩٤٩»، رغم أنه لا يقول للقارئ لماذا سيتفاجأون، ولا يتبع هذه العبارة بأكثر من ذلك.[٣٠] أيضاً يرى الصحافي استمرارية تاريخية، في تأسيس إسرائيل، وهي استمرارية تستند إلى الكتاب المقدس فقط، يقول بيلبي عنها: إنها «لحظة عاطفية-ساعة الخلاص، وإعادة إنشاء الدولة اليهودية بعد توقف دام ٢٠٠٠ عام».[٣١] إذ يُقدَّم قادة «إسرائيل الجديدة» نظراءً لشخصيات الكتاب المقدس من «إسرائيل القديمة»:

«فـي هـذه الحقبة مـن التدفـق الكبيـر وقف بن غوريون كما يوشـع، القائد الذي سحق المعارضة الخارجيـة والداخليـة مثل أسـوار أريحـا، وكان موسـى هـو الدكتـور حاييـم وايزمـن، العالـم البريطاني اللامع، نتاج الغيتو الروسـي، الذي قاد الشعب المختار في أربعين سنة من بريَّة السياسة العالمية إلى تحقيق هدف الخلاص القومي. ولقد كان وعد بلفور عـام ١٩١٧، متعهداً بوطن قومي لليهود في فلسـطين، انتصارَه الكبير الأول، وكان إعلان قيام الدولة انتصارَه الثاني».[٣٢]

تجعل مجلة تايم أيضا من دافيد بن غوريون أكبر من الحياة نفسها وتصور الرجل نفسه في إطارٍ توراتي، واصفةً إياه بأنه «رسول يحمل بندقية» وواصفةً له كيف «خفق صوته عالياً، كما لو كان يتحدث أمام رياح جبل الكرمل».[٣٣] ومرة أخرى في تقارير كينيث بيلبي بشأن الحديث عن القدس، فإنّ المرء يقاد إلى الاعتقاد باثنتين من أكثر الأساطير إضراراً، والمستخدمة مراراً وتكراراً من قبل الصهاينة وأنصارهم، بأن عمر الصراع العربي الإسرائيلي يعود لآلاف السنين، وأنه ظلّ دون تغيير طوال تلك الآلاف من السنين، منذ العصور التوراتية القديمة.

٢٩ Bilby, *New Star*, 1.

٣٠ Ibid, 3.

٣١ Ibid, 20.

٣٢ Ibid, 165.

٣٣ «Israel: The Watchman,» *Time*, Monday, August 16th, 1948 (accessed March 8th, 2010).

ويُعلم القارئ عن «قدسٍ مقدسة للمسيحية واليهودية والإسلام، منقوعةٍ في الدم منذ خمسة آلاف سنة»[٣٤]، وأنّ «قروناً من الحروب وفتراتٍ قصيرةٍ من السلام لم تغير حياة مدينة القدس القديمة».[٣٥] سيأخذ عددٌ من مؤرخي القدس وفلسطين موقفاً نقدياً من التبسيط الشديد الواضح والملفت للنظر لهذه المسألة، ومن كونها غير صحيحة تاريخياً، وخاصة التأكيد على أن القدس لم تتغير طوال آلاف السنين.

لقد تكررت أسطورة الحرب الأبدية في فلسطين والقدس في العديد من تقارير الصحف الرئيسية الأخرى من عام ١٩٤٨. ففي تقرير نشرته صحيفة أخبار نيويورك أمستردام (New York Amsterdam News) ، حمل العنوان «نزاعٌ قديم»، وتجاهل آلاف السنين من التاريخ، فقط ليعطي القارئ انطباعاً بأن اليهود والفلسطينيين العرب يتقاتلون فوق»الأرض المقدسة» منذ آلاف السنين، والصراع، كما يسميه المراسل، «خلاف قديم بين اليهود والعرب على الأراضي الفلسطينية». إنّ التاريخ المستحضر في المقالة المنشورة في الثامن والعشرين من أيّار/ مايو سنة ١٩٤٩ في موضع شكٍ كبير ويمتاز بالانتقائية، ويستنتج أن فلسطين هي، في الواقع، «بلد اليهود»، على الرغم «من أنها مكتظة بالسكان العرب، الذين عاشوا هناك وازدهروا منذ عهد النبي محمد»، يطلق التقرير على العرب اسم «الحشود الكبيرة» التي «اجتاحت فلسطين، والتي، على الرغم من كونها بلداً صغيراً، أصبحت مكتظة بشكل كبير». يظهر بعد ذلك أن المؤلف يقترح بخبث أن المسلمين الفلسطينيين لم يقدِّروا بما فيه الكفاية القدس وفلسطين: «استمر المحمديون في العبادة في «المدينة المجيدة» بغداد في العراق، حيث بدأت أولى حكايات ألف ليلة وليلة الرومانسية بالاشتهار...»»، تجدر الإشارة هنا إلى أن كتاب ألف ليلة وليلة المذكور هنا هو مصدر رئيس للاستشراق الغربي والأوروبي، آخذين بعين الاعتبار الجملة التالية التي تأتي مباشرةً في المقال، يتبين لنا كيف يتم تجاهل وإهمال آلاف السنين من التاريخ المهم، وإهمال أي ذكر للتعايش بين الفئات الدينية المختلفة في القدس، فضلاً عن إهمال فترة الانتداب البريطاني: «...في أعقاب الحرب العالمية الثانية، نشبت صراعاتٌ جديدةٌ بين اليهود والعرب في فلسطين، كما رأينا، رافقها قتالٌ وسفكٌ للدماء».[٣٦]

ليس أقل إشكاليةً، في هذه التقارير الغربية،

٣٤ Bilby, *New Star*, 189.

٣٥ Ibid, 198.

٣٦ «An Ancient Dispute,» *New York Amsterdam News*, City Edition, May 28 , 1949 (accessed April 9, 2010).

الاستخدام المتكرر لمصطلح «الأرض المقدسة» مرادفاً كما هو الحال ل»فلسطين» في تغطية كل صحيفة تقريباً، الأمر الذي يضع حرب ١٩٤٨ في سياق ديني في مصادر الإعلام الرئيسية، على سبيل المثال، يطلق تقرير، نُشر في لوس أنجلوس تايمز ، بعنوان «الملك عبد الله يخطط للحرب في الأرض المقدسة»، يطلق على الملك لقب «الشيخ المحارب»، الذي يتولّى رئاسة القوات العربية، ويعتزم «عبور الحدود إلى الأراضي المقدسة في الجنوب»، كما يحمِّل التقرير الحرب دلالات ذات أبعاد دينية[٣٧]. تكرر بعض الصحف أيضا أخطاء المسافرين إلى»الأرض المقدسة» «فلسطين» وحجاجها الأوروبيين في القرن التاسع عشر، والذين اعتمدوا الكتاب المقدس مرجعاً لفهم الأراضي والسكان في فلسطين، وقد لاحظ هذا أيضاً عصام نصار في كتابه التصويرات الأوروبية للقدس: الافتتان الديني والخيال الاستعماري. كما ويلقي تقرير نشر في صحيفة النيويورك تايمز بتاريخ ١٦أيار/ مايو ١٩٤٨، باللوم على الفلسطينيين لأنهم بطريقة ما «أعادوا» جزءاً كبيراً من البلاد «إلى صحراء خلال قرون من الإهمال». كيف بالضبط «أهمل» الفلسطينيون العرب الأرض وتسببوا في أن تصبح صحراء، أو متى كانت خصبة؟!، أمورٌ تركت للتساؤل حينما يرجع المؤلف إلى كتاب أيّوب «في الكتاب المقدس»، ويقول «هناك أشواكٌ بدلاً من الشعير»[٣٨].

ما نراه هنا في تقارير الصحف الرئيسية عن حرب ١٩٤٨، هو محسوبية متسقة ومتصلة وثناء على القوات الإسرائيلية والصهيونية، جنباً إلى جنب مع عمليتي تهميش وسخرية من الجنود والشعب العربي. كان العرب في تقارير كبرى الصحف التي تغطي حرب ١٩٤٨ «الغزاة» المسلمين العنيفين الذين يقودهم ملك عربي «مهووس، يشنون حرباً في «الأرض المقدسة» التي ليست لهم، تحت راية الإسلام. بالإضافة إلى ذلك، يترك القارئ على الدوام بانطباع أن العرب لا يملكون حقاً شرعياً في الأرض، على الرغم من ألفي سنة من الاستيطان والحياة فيها، وهي الفترة التاريخية التي يتم حذفها بسهولة وراحة. لقد صُوِّر العرب الفلسطينيون بكل بساطة غزاة غرباء في أرضهم، ولعل الإغفال الأهم، مع ذلك، هو التجاهل الكامل للاّجئين الفلسطينيين، ففي البحث في التقارير الإخبارية المنشورة في خمس صحف كبرى أثناء القتال في عام ١٩٤٨ وخلال ١٩٤٩ لم أستطع العثور على ذكر للاّجئين في فلسطين العربية ولو لمرة واحدة ، بينما كان هناك ذكر متكرر ومتعاطفٌ مع الحالة المتعلقة بالمدنيين اليهود في فلسطين، وفي الوقت الذي بدا واضحاً أنه لا وجود للاجئين فلسطينيين حسب رأي هذه الصحف، فقد أعربت هي نفسها عن القلق العظيم على المدنيين اليهود في فلسطين وإسرائيل، بل ودعمت بشكل متكرر المطالبة اليهودية في أرض فلسطين، التي أصبحت في معظمها دولة إسرائيل الجديدة، من خلال الرجوع للتوراة واستخدام مصطلحات الكتاب المقدس.

القدس في تقارير الولايات المتحدة عن حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧

شهدت السنوات التي سبقت حرب الأيام الستة في عام ١٩٦٧، ركوب جمال عبد الناصر، الذي سيطر عام ١٩٥٢ على مصر وأخرجها من سيطرة نظام الملك فاروق المدعوم من بريطانيا في انقلاب قام به مع ضباطه الأحرار؛ شهدت ركوبه موجةً من القومية العربية المنبعثة من مرقدها، وردود فعل العالم على قضية السويس سنة ١٩٥٦، التي وحّدت الرأي العام العربي لصالح عبد الناصر ضد الغرب، كما وشهدت ارتفاعاً في شعبيته كونه معارضاً عنيداً للصهيونية في فلسطين. ولكن، ووفقاً لتشارلز سميث في كتابه «فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي»، أنه في حين عززت قضية السويس بشكل كبير من هيبة عبد الناصر، كادت حرب عام ١٩٦٧ أن تطيح به».[٣٩] لقد دمّرت إسرائيل طائرات سلاح الجو المصري بأكمله وهي محتشدة على أرض المطارات في سيناء خلال ساعات فقط من بدء الحرب، وكانت القوات المصرية مكشوفة تقريباً دون أي غطاء جوي ضد القوات الجوية والبرية الإسرائيلية، لقد احتلت إسرائيل كل سيناء مع ٩ حزيران/ يونيو، وطلبت من العاهل الأردني، الملك حسين، البقاء بعيداً عن القتال، ولكن بمجرد أن أصبح واضحاً أن الأردن سيواصل القصف، قرر مجلس الوزراء الإسرائيلي تحقيق «الفرصة التاريخية» المتاحة لإسرائيل، وهي السيطرة على مدينة القدس القديمة[٤٠]. ومع ٧ حزيران/ يونيو، أصبحت القدس بأكملها تحت السيطرة الإسرائيلية، وتحركت القوات الإسرائيلية بسرعة واحتلت الضفة الغربية. قبلت مصر وقف إطلاق النار في

٣٧ «King Abdullah Tells Plans for Holy Land War,» *Los Angeles Times*, April 27 1948 (accessed April 9, 2010).

٣٨ «State of Israel,» *New York Times*, May 16, 1948 (accessed April 9, 2010).

٣٩ Charles D. Smith. *Palestine and the Arab-Israeli Conflict*, Sixth Edition, NewYork: Bedford/St. Martin's, 2007, 264.

٤٠ Ibid, 289.

٨ حزيران / يونيو، وقبلته سوريا يوم ٩ حزيران/ يونيو، وتجاهل موشيه دايان، وزير الدفاع الإسرائيلي، أوامر من الحكومة الإسرائيلية المدنية، وشنَّ هجوماً شاملاً على مرتفعات الجولان في سوريا، التي أصبحت تحت السيطرة الإسرائيلية مع ١٠ حزيران/ يونيو[٤١].

ووفقاً لتشارلز سميث، فإنّه من غير المرجح أنّ أيّ شخص، بما في ذلك الإسرائيليين أنفسهم، توقع انتصار الإسرائيليين، بما شمله من سيطرتهم على القدس والضفة الغربية، ومرتفعات الجولان، بالإضافة إلى سيناء[٤٢]. وعندما توقف القتال، أدمجت القدس الشرقية في دولة إسرائيل، وأصبحت المدينة موحدةً من جديد، وكانت هذه هي المرة الأولى لتوحيدها منذ حرب عام ١٩٤٨. بعد فترة وجيزة، أصدر المسؤولون الإسرائيليون أوامرهم بهدم حي المغاربة المقابل للحائط الغربي، المقصود حائط البراق أو المبكى، وطُرد سكانه الذين يزيد عددهم عن ستمائة عربي مسلم، وذلك حتى يكون اليهود القادمون لأداء شعائرهم الدينية، في أقدس موقع في اليهودية يوم السبت المقبل بعد احتلال المدينة، آمنين وأن يكون لديهم مجال واسع للصلاة. لقد تمّ تنفيذ هذه الأعمال بسرعة وذلك لخلق حقائق جديدة، واستباقاً لأي قرار للأمم المتحدة بشأن إدارة إسرائيل للقدس الشرقية. وبالإضافة إلى أولئك الذين فقدوا منازلهم في القدس الشرقية، أصبح أكثر من مئة ألف فلسطيني في الضفة الغربية لاجئين بسبب حرب الأيام الستة.[٤٣] لقد أُخرج العديد من هؤلاء اللاجئين الجدد من قراهم بالقوة، وجُرفت ودُمرت عدة قرى فلسطينية، بحيث لن يستطيع أهلها الفلسطينيون العودة إليها أبداً. ورغم أن إسرائيل كانت سابقاً قد وعدت إدارة الرئيس جونسون في الولايات المتحدة بعدم توسيع أراضيها أثناء النزاع، إلا أن «تأكيداتها هذه الصادرة عنها ما قبل الحرب أصبحت غير موضع للنقاش، فقد تجاوزتها النشوة والإحساس بقطع حبل المشنقة الذي كان يطوقها، والذي كان على ما يبدو تهديداً لها».[٤٤] ولكن نشوة ما بعد الحرب لم تقتصر على إسرائيل فقط، ولم تنحصر على نطاق الإدارة الأميركية، التي كانت قد توقعت وفضّلت انتصاراً على جمال عبد الناصر وعلى الدول العربية، فبقيام إسرائيل بإعادة توحيد «المدينة المقدسة»،القدس، واحتلال كل فلسطين، والتي غالباً ما يشار إليها باسم «إسرائيل التوراتية» من قبل المسيحيين الأصوليين. تنشط الإنجيليون الأمريكيون بسبب ما اعتبروه تحققاً آخر لنبوءةٍ توراتية، وقد انعكس هذا الشعور بالنشوة والاحتفاء في وسائل الإعلام الرئيسية بنفس قدرهما في الخطاب الإنجيلي حول حرب عام ١٩٦٧، وساهم هذا إلى حد كبير في صعود أهمية الإنجيليين والأصوليين في الولايات المتحدة.

على الرغم من أنها كُتبت بعد ما يقارب عشرين سنة من حرب عام ١٩٤٨ في فلسطين-إسرائيل، فإنّ تقارير وسائل الإعلام عن حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ قد امتلأت بالعديد من عناصر مماثلة للمضامين الاستشراقية: الإفراط في التعميمات العنصرية عن العرب، ومحسوبية وتحيز لإسرائيل في الصراع أكثر وضوحاً من ذي قبل، وهناك أيضاً شعور لا لبس فيه، انعكس في معظم مصادر الأخبار الأميركية بالاحتفاء بانتصار إسرائيل في حرب عام ١٩٦٧. كما صورت وسائل الإعلام الرئيسية في تغطيتها لحرب الأيام الستة إسرائيل كدولة «صغيرة»، وأمّة «معزولة»، وقامت باستدعاء لغة الكتاب المقدس، وأحياناً بأكثر مما كانت عليه في التغطية عام ١٩٤٨، لتأكيد ادعاءات إسرائيل المتعلقة بالقدس وبسائر الأراضي الفلسطينية.

تشهد دراسات عديدة على الأثر الكبير الذي أحدثته التغطية الإعلامية الأمريكية لحرب الأيام الستة في وجهات النظر الأمريكية المتعلقة بالصراع العربي الإسرائيلي، تقول جانيس مونتي بيلقاوي، في دراستها المعنونة «صور العرب والإسرائيليين في الصحافة المرموقة، ١٩٦٦-١٩٧٤»، أن انحياز وسائل الإعلام لصالح إسرائيل وانتصارها، «يمكن أن يشاهد بشكل واضح جداً في الصور الصحفية لقادة الشرق الأوسط» خلال الحرب، والتي تعكس معاملة الصحافة للقادة الإسرائيليين خلال حرب ١٩٤٨، ووفقاً لبيلقاوي، فإنه في عام ١٩٦٧ «تمّ تصوير قادة إسرائيل «كأبطال»، وبتحديد أكثر»كمنتصرين» و»أصحاب أداء رائع»، وكان أيضاً في التغطية الصحفية ما يعكس أنماط التغطية السالفة في عام ١٩٤٨: «فالزعماء السياسيون الإسرائيليون أقوياء وحاسمون، وواثقون من أنفسهم؛ قادة إسرائيل العسكريون رابطو الجأش، هادئون، أسطوريون وشديدو الوسامة، وقواتها العسكرية قوية وفعّالة وماهرة وتبعث على الفخر؛ مدن إسرائيل ومواطنوها سلميون وهادئون[٤٥]. كما وأشارت مجلة التايم مراراً إلى موشي

٤١ Ibid, 91 - 290.

٤٢ Ibid, 291.

٤٣ Ibid, 291.

٤٤ Ibid, 291.

٤٥ Janice Monti Belkaoui. Images of Arabs and Israelis in the Prestige Press, 1966 - 74.» *Journalism Quarterly*, Vol. 55, No. 4, pp. 732 - 38, 799 (Winter 1978), (accessed March 8th, 2010, 736 - 37).

دايان بأنه «الأعور بطل حملة سيناء، المليءُ بالحيوية».[٤٦] وأيضاً «بالأعور بطل سيناء المليء بالحيوية»[٤٧] وحتى أن المعدات العسكرية قد وصفت بطريقةٍ جذابة: إذ إن «الطائرات الفرنسية ذات الجناحين القويين، بنجمة داود التي كانت تلمع بلونيها الأزرق والأبيض على أجنحتها، انقضّت على المواقع الأردنية في جميع أنحاء المدينة في عرض مثير من القصف الليلي الذي ترك السماء حمراء بالنيران».[٤٨]

خلال كل التغطية الصحفية لحرب الأيام الستة، فضلاً عن معظم التغطية الغربية للصراع العربي الإسرائيلي، فإنّه من النادر جداً أن يتم نقل أقوالٍ للمسؤولين العرب أو إجراء مقابلات صحفية معهم، في حين تستخدم اقتباسات واسعة من تصريحات المسؤولين الإسرائيليين في هذه التقارير لوصف الأحداث، ويعرض هذا وجهة نظر أحادية الجانب حول الصراع، ويسمح كذلك للقادة الإسرائيليين بتأطير التغطية بالطريقة التي يختارونها للرأي العام الأميركي. ووفقاً لمايكل سليمان في دراسته: «الصور النمطية الوطنية كسلاح في الصراع العربي الإسرائيلي»، فإنّ دراسةً فاحصة لتغطية وسائل الإعلام «تشير، إلى حد كبير، أنّ إسرائيل حقّقت نجاحاً هائلاً في تعريف المشكلة وفق شروطها، وجعل هذه الشروط مقبولةً من جانب الأميركيين». يقول سليمان أنه عندما تتم مناقشة الخلفية التاريخية للصراع في وسائل الإعلام الأميركية فإنّه «ينظر لليهود في إسرائيل على أنهم ضحيةٌ للاضطهاد، في حين ينظر إلى العرب الفلسطينيين على أنهم مجرد ضحايا ظرف من الظروف».[٤٩] (التشديد من الأصل)، ومثال أساسي على ذلك يمكن ملاحظته في المقال: «إسرائيل: أمة تحت الحصار» في طبعة ٩ حزيران/ يونيو ١٩٦٧ من مجلة التايم ، إذ يوصف العرب أنهم «يلعقون جراح عزتهم، وأنهم أقسموا على الانتقام» بعد عام ١٩٤٨، وأنّ هذا الشعور يعزى لهزيمتهم في الحرب وليس لمحنة اللاجئين الفلسطينيين، وقد قيل ببساطة أنه: «خلال الحرب، هرب ٧٥٠٠٠٠ من العرب الفلسطينيين من أرض أجدادهم، بل هربوا بشكل محزن إلى مخيمات اللاجئين عبر حدود إسرائيل، حيث بقوا لمدة ١٩ سنة مريرة في انتظار العودة».[٥٠] مرة أخرى، لا يوجد سياق ولا تفسير لخلق مشكلة اللاجئين، لقد وصفوا بأنهم «قد هربوا»، والكلمة يمكن أن تؤدي معنىً واحداً فقط، كما يقول سليمان، فهم ضحايا ظرف من الظروف.

إن استخدام المصطلحات التوراتية، وصياغة حرب ١٩٦٧ على أنها استمرار للتاريخ التوراتي، كمبرر لاحتلال كل القدس واحتلال ما تبقى من فلسطين، كان ملاحظاً في كثير من الأحيان: ففي مقطع حول «أرض الميعاد»، تروي مجلة التايم حياة النبي يعقوب ومعركته مع ملائكة الله، ويقول المقطع: أن قيام (دولة) إسرائيل «كان تحقيقاً لصراع كان فيه اليهود ضد العالم مدة ألفي عام». مرة أخرى، كما هو الحال في التغطية الإعلامية للحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨ والتي استخدمت الخطاب التوراتي، يقدَّم التاريخ التوراتي كحقائق لا جدال ولا نقاش فيها، وخصوصاً عندما توصف فلسطين بأنها «أرض كنعان، التي أعطي إبراهيم عقداً إلهياً بملكيتها بعد أن هاجر من أور في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وبأنها الأرض المقدسة التي قاد موسى شعبه إليها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد»[٥١]. تقول جريدة «نيويورك تايمز « أن الإسرائيليين بكسبهم حرب ١٩٦٧ «قد ربحوا المعركة ولكنهم فتحوا سم الصراع القديم»[٥٢]. إن هذا التمثيل والتصوير للصراع والقتال في فلسطين وكأنه أبدي، يحكم في العقل الأمريكي على المنطقة بأن تعيش صراعاً لا ينتهي.

تؤطِّر «الحرب في الشرق الأوسط» في قطعة لأنطوني لوكاس نشرتها جريدة النيويورك تايمز في ٦ حزيران/ يونيو ١٩٦٧، تحت عنوان «دعاوى متنافسة حول تاريخ فلسطين منذ العهود التوراتية» على أنها «نتاج للدعاوى المتناقضة والمتنافسة التي ترجع إلى العهد التوراتي»[٥٣]. يربط لوكاس الصراع العربي الإسرائيلي بحالته التي كان عليها سنة ١٩٦٧ بصراعات بين المنحدرين من نسل إبراهيم: إسماعيل، والذي يدَّعي العرب أنهم من نسله؛ وإسحاق الذي يرجع ويتتبع اليهود أصلهم منه. وحسب لوكاس، فإن الجذور الحقيقية للصراع تكمن في حقيقة

---

٤٦ «Middle East: The Quickest War,» *Time*, Friday, June 16th, 1967 (accessed March 8th, 2010)

٤٧ «Israel: A Nation Under Siege,» *Time*, Friday, June 9th, 1967 (accessed March 8th, 2010).

٤٨ «Middle East: The Quickest War,» *Time*, Friday, June 16th, 1967 (accessed March 8th, 2010).

٤٩ Michael Suleiman. «National Stereotypes as Weapons in the Arab-Israeli Conflict.» *Journal of Palestine Studies*, Vol. 3, No. 3 (Spring 1974), pp. 109 - 121.

٥٠ «Israel: A Nation Under Siege,» *Time*, Friday, June 9th, 1967 (accessed March 8th, 2010).

٥١ «Israel: A Nation Under Siege,» *Time*, Friday, June 9th, 1967 (accessed March 8th, 2010).

٥٢ James Reston. «Tel Aviv: The Irony of Israel's Success,» *New York Times*, June 7, 1967 (accessed April 9, 2010)

٥٣ J. Anthony Lukas. «Rival Claims to Palestine Date From Biblical Times,» *New York Times*, June 6th, 1967 (accessed March 5th, 2010).

أن أراضي كنعان «فلسطين التوراتية» كانت قد وعدت لأبناء إسحاق، ولكن في الوقت نفسه وحسب القرآن، فإن الله قد وعد: إسماعيل وأبناءه بالسيادة والهيمنة عليها، وهكذا «فإن أبناء إسحاق وأبناء إسماعيل يتصارعون اليوم حول ملكية أرض كنعان، والتي يطلق عليها العرب اسمها الروماني، فلسطين، ويناديها اليهود إسرائيل.»[٥٤]

لا تبدو وسائل الإعلام أقل من متواطئة في تبريرها ودعمها لادعاءات إسرائيل واليهود في فلسطين والقدس، التي احتلتها إسرائيل بعد عدة أيام من القتال، ولم يكن هذا التأكيد من قبلها على عدالة الادعاءات اليهودية المتعلقة بالقدس بأي حال مقتصراً على افتتاحيات الصحف، بل أكدت مقالات وتقارير صحفية في حالات عديدة صحة ادعاءات إسرائيل، تقول مقالة نشرتها مجلة التايم في ٢٣ حزيران ١٩٦٧: «على الأرجح أن تكون ادعاءات اليهود الدينية والعاطفية والتاريخية بأن فلسطين هي وطنهم أقوى من ادعاءات العرب». وتبرر التايم هذه العبارة بالقول بأن «ادعاء اليهود في فلسطين الحديثة أكثر واقعية من ادعاءات العرب»، لأنها «مستمدة من سلطة الانتداب التي أعطتها عصبة الأمم لبريطانيا بعد انهيار الحكم التركي في الحرب العالمية الأولى، وقد نقلت هذه السلطة لاحقاً للأمم المتحدة».[٥٥]

يعتبر سيث كنغ في جريدة النيويورك تايمز في ٧ حزيران ١٩٦٧، أنّه يمكن اعتبار احتلال الإسرائيليين للقدس بمثابة عودة «موقع هيكل الملك سليمان لسيطرة دولة يهودية بعد ألفي عام».[٥٦] وتقول مقالة نشرت في النيويورك تايمز بتاريخ ٢٨ حزيران: «لا يستطيع أحد أن ينازع بصحة شرعية المصلحة الإسرائيلية بالبلدة القديمة من القدس ولا بمنطقية وعدالة مطالبها فيها. إن مطالب وأهداف إسرائيل المعلنة هي ضمان وصول اليهود والآخرين للأماكن المقدسة في البلدة القديمة ويجب أن يتمّ تلبيتها».[٥٧] وتُظهر مقالات أخرى في التايم ، مثل مقالة: «إذا نسيتك يا إسرائيل»، ترحيبَها واحتفاءها برفض إسرائيل لمقترحات تدويل القدس، وذلك من خلال استحضارها للتاريخ التوراتي وللذاكرة اليهودية التاريخية،[٥٨] فمثلاً طرحت التايم في ٣٠ حزيران ١٩٦٧ السؤال: «هل يجب إعادة بناء الهيكل؟» [٥٩] ويبدو أن هذه التغطية الإعلامية كان لها تأثير كبير على العقل الأمريكي فيما يتعلق بفلسطين-إسرائيل. ففي حين عبّر الثلث ممّن تم استطلاع آرائهم عام ١٩٤٧ عن أنهم سيتعاطفون إما مع العرب وإما مع اليهود في حالة نشوب حرب، فإنّه «مع نهاية حرب ١٩٦٧، وافق أمريكيٌ واحدٌ فقط من كل سبعة على عبارة أنه على إسرائيل أن تعيد أراضيَ احتلتها خلال حرب حزيران من ذلك العام»،[٦٠] ويجدر الانتباه أيضاً إلى أنّ «واحداً من كل أربعة مستطلَعين، اعتقدوا بأنه يجب السماح لإسرائيل بالاحتفاظ بكل الأراضي المحتلة.»

لقد مثّلت حرب الأيام الستة، نقطة تحول كبرى بالنسبة للجماعات الإنجيلية الأميركية، على الرغم من أن رد الفعل المسيحي الأولي كان نوعاً من اللامبالاة. ومع ذلك، فقد كانت الطائفة البروتستانتية، واحدةً ممن سرَّ على الفور تقريباً «بالانتصار الإسرائيلي».[٦١] وفي غضون أشهر، أثّرت كل من كتابات البروتستانت البارزين والإنجيليين حول حرب الأيام الستة، ونمو الأصولية المسيحية، والتبشير الملائكي في الولايات المتحدة، ومشاركة الإنجيليين في المجال السياسي الأميركي؛ أثرت تأثيراً كبيراً على وجهات النظر الأميركية حول الصراع العربي الإسرائيلي، وحول الفلسطينيين. وفقاً لسارة شميت في مجلة مراجعات للدراسات اليهودية السياسية، فإنّه «وقبل قيام إسرائيل وتوسعها في عام ١٩٦٧، كان المؤمنون بالتدبير الإلهي لشؤون العالم منشغلين بكفاح من أجل تدريس مذهبهم، والبحث عن دلائل تتعلق بالمجيء الثاني للمسيح، والتنبؤ بأحداث المستقبل. مع ذلك، وبعد أن شغلت إسرائيل مكانها في فلسطين، انتقل هؤلاء المؤمنون بالتدبير الإلهي لشؤون العالم من كونهم مراقبين إلى وضعية المشاركين بالأحداث، يساعدون على تحويل نظرياتهم إلى نبوءات تحقق نفسها».[٦٢]

أما بالنسبة للعديد من الإنجيليين، كانت حرب الأيام

٥٤ Ibid.

٥٥ «Essay: On Facing the Reality of Israel,» *Time*, June 23rd, 1967 (accessed March 8th, 2010).

٥٦ Seth K. King. «20-Year Division of Jerusalem Seems Ended by Israeli Troops,» *New York Times*, June 7th, 1967 (accessed March 8th, 2010).

٥٧ «The Future of Jerusalem,» *New York Times*, June 28, 1967 (accessed April 9, 2010).

٥٨ «Israel: If I Forget Thee,» *Time*, Monday, April 25th, 1949 (accessed March 8th, 2010).

٥٩ «Judaism: Should the Temple Be Rebuilt?» *Time*, Friday, June 30th, 1967 (accessed March 8th, 2010).

٦٠ Belkaoui, «Images,» 73 - 7.8

٦١ Alan Mittleman; Byron Johnson, Nancy Isserman. *Uneasy Allies*: *Evangelical and Jewish Relations*, Lanham: Lexington Books, 2007, 51.

٦٢ Sarah Schmidt. «Dangerous Friends,» *Jewish Political Studies Review*, Spring, 2007 (accessed March 11th, 2010).

الستة بمثابة الخطوة التالية في التحضير للمجيء الثاني للمسيح، وذلك وفقاً لتفسيراتهم للنبوءة التوراتية، فقد اعتبروا بالفعل، جمع شمل اليهود في فلسطين في القرن العشرين إشارة إلى أن نهاية العالم أصبحت قريبة. لكنّه، وبعد عام ١٩٤٨ وقيام دولة إسرائيل، فإنّ أرض إسرائيل الأولى لم تكن كاملةً لأنها لم تشمل جميع القدس، لقد كان احتلال إسرائيل للقدس وتوسيع نطاق حدودها إلى الحدود التوراتية إثباتاً واقعياً لصحة توقعات الإنجيليين، ورأى كثيرٌ منهم أن النبوءات تأتي أكلها، وأن المجيء الثاني للمسيح يقترب بسرعة»[٦٣].

ومنذ حرب الأيام الستة صرّح العديد من الدعاة الإنجيليين الأميركيين البارزين عن دعمهم لإسرائيل لحفاظها على مكاسبها الإقليمية التي حققتها خلال حرب عام ١٩٤٨ وحرب عام ١٩٦٧. وفقط بعد سنة واحدة من حرب الأيام الستة حثّ «أكثر الإنجيليين شهرةً، القس بيلي غرام، أو غراهام، إسرائيلَ على عدم التخلي عن الأراضي التي استولت عليها» مشيراً إلى أن اليهود هم «شعب الله المختار»، وأنّ أرض فلسطين ملكٌ لهم.[٦٤] كتب نيلسون بل، حمو بيلي غراهام، في عدد من أعداد عام ١٩٦٧ من مجلة المسيحية اليوم،:»إنّه الآن وللمرة الأولى منذ أكثر من ألفي عام، تصبح القدس تماماً في أيدي اليهود، ممّا سيعطي دارس الكتاب المقدس تشويقاً و تجديداً للإيمان بدقة وصحة الكتاب المقدس».[٦٥]

أصبح الخطاب الإنجيلي والمسيحي الصهيوني أكثر جرأة والتهاباً، منذ عام ١٩٦٧، ويرجع ذلك جزئياً إلى الاعتقاد بأن الانتصار العسكري الإسرائيلي السهل كان تحقيقاً لنبوءة توراتية، وخطوة أخرى نحو «نهاية العالم»، ولعلّ من أكثر الشخصيات المثيرة للجدل وشعبية هو جون هيجي، مؤسس «كنيسة حجر الزاوية» في سان أنطونيو بولاية تكساس، والتي ينتمي لها ما يقارب ١٧٠٠٠ عضو[٦٦]؛ وبات روبرتسون، من شبكة البث المسيحية. وقد استخدم كلا الرجلين الدعم المسيحي لإسرائيل وللصهيونية باعتباره ركناً أساسياً في الوعظ الإنجيلي المتلفز وفي مواعظهم الدينية، وقاما بتشويه صورة الإسلام والمسلمين بصورة منتظمة خلال هذه العملية.

تصف فكتوريا كلارك في كتابها «حلفاء من أجل هرمجدون» بات روبرتسون بأنه قطبٌ مسيحي وبطل إسرائيل[٦٧]، ويقول ستيفن سايزر أنّ «روبرتسون واحدٌ من أكثر الرجال نفوذاً في الدوائر السياسية والدينية في الولايات المتحدة في الوقت الحاضر».[٦٨] لقد أسّس روبرتسون شبكة البث المسيحية سنة ١٩٦٠، ومنذ ذلك الوقت أنشأ عدداً آخر من المؤسسات التعليمية والترفيهية والسياسية والخيرية، بما فيها التحالف المسيحي الذي يضم مليوني مشترك. «ويستخدم روبرتسون التحالف المسيحي عموماً من أجل تأييد وحشد التأييد لمرشحين جمهوريين محافظين في حملات انتخابات الأمريكيين المسيحيين المشاهدين لبرنامجه نادي السبعمائة بما يقرب من سبعة ملايين مشاهد أسبوعياً، كما أن نفوذه وتأثيره على المنتخبين الأمريكيين المسيحيين واسعٌ وكبير.[٦٩]

ويزعم كتاب روبرتسون، «النظام العالمي الجديد»، والذي كان من أكثر الكتب رواجاً حسب قائمة صحيفة نيويورك تايمز لدى صدوره في عام ١٩٩١، وجودَ مؤامرة في جميع أنحاء العالم من أجل إنشاء حكومةٍ عالميةٍ واحدةٍ، وهو يلمِّح بقوة في جميع محتوى الكتاب إلى مشاركة اليهود في هذه المؤامرة المفترضة. وبالنسبة لأولئك الذين يؤمنون بعقيدة العصر الألفي السعيد، وبالنبوءات المذكورة في سفر الرؤيا في الإنجيل المسيحي المقدس، ويؤمنون كذلك بدور تاريخيٍ لملكية اليهود للقدس، فإنّ روبرتسون يوفر أسباباً كافيةً لتقديم الدعم غير المشروط لإسرائيل، من حيث علاقة ذلك بسيناريو نهاية العالم الموجودة في سفر الرؤيا:

ومن الواضح أيضا أن استراتيجية الشيطان ستتضمن هجوماً مباشراً على إسرائيل. إن من المؤكد أن الهدف القادم للنظام العالمي الجديد، المتشكل حالياً وواقعياً في إطار الأمم المتحدة، سيجعل إسرائيل هدفه، إنّ أية أمة متمردة لا يتفق عملها مع السياسة العامة للأمم المتحدة سيتم ضبطها وتأديبها بالقوة العسكرية. هذا هو أحدث قانون للنظام العالمي. لقد صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالفعل على اعتبار الصهيونية عنصرية. ويمكننا بالتأكيد أن نتوقع، عاجلاً أو آجلاً، الطلب بشكل غير معقول من إسرائيل لإنهاء سيطرتها على الضفة الغربية وعلى نصف عاصمتها في القدس الشرقية.

على الرغم من أن إسرائيل قد توافق على مضض فيما

٦٣ Anderson, *Biblical Interpretation*, 110.

٦٤ Mittleman, *Uneasy Allies*, 51.

٦٥ As cited in *Christian Zionism* by Stephen Sizer, 85.

٦٦ Ibid, 139.

٦٧ Victoria Clark. *Allies for Armageddon*: *The Rise of Christian Zionism*, New York: Yale University Press, 2007, 166.

٦٨ Stephen Sizer. *Christian Zionism*: *Roadmap to Armageddon*?, InterVarsity Press, 2005, 92.

٦٩ Ibid, 92.

يتعلق ببعض الأراضي، فإن روبرتسون يصر بصورة مطلقة على عدم تسليم المدينة التي فاز بها الملك داود، قبل ما يقارب ثلاثة آلاف عام، ومن ثم فازت بها إسرائيل الحديثة مرة أخرى عام ١٩٦٧، وإذا لم تقم إسرائيل بالخروج من المدينة المقدسة فإن حرباً ستقع في ظل النظام العالمي، حتى كما هو متشكلٌ الآن. ما عدا ذلك، «فإن الشيطان سيشن حرباً ضد الشعب المسيحي».[٧٠]

وفي الوقت الذي يرغب العديد فيه استبعاد نظم الاعتقاد هذه، إلاّ أنّ البيانات والأدلة الأولية تدل على تأثر الأميركيين الشديد في تفسيراتهم وفهمهم للواقع والعالم الذي نعيش فيه بنظام عقيدتهم الدينية ومذهبهم الإيماني. ويبدو أنّه في أميركا، «وعلى الرغم من قرن ونصف من النقاش حول الدقة التاريخية للكتاب المقدس، لا يزال الجدل قائماً، بل إنّ الإيمان بمذهب العصمة منتشر على نطاق واسع بين الملايين من الأميركيين»[٧١]، فعلى سبيل المثال، كشف استطلاع للرأي أجرته مؤسسة غالوب سنة ١٩٩٧ عن أنّ ٤٤٪ من الأميركيين يعتقدون بنظرية الخلق، أي يعتقدون بصحة السرد الموجود في سفر التكوين بديلاً عن تصديق نظرية تشارلز داروين حول النشوء والارتقاء، بالإضافة إلى ذلك، «وجد في عام ١٩٨٥ أنّ ٣٩٪ من الأمريكيين يعتقدون أنَّ الكتاب المقدس ينبغي أن يُفهم ويفسر حرفياً"، ولقد أصبحت هذه النسبة ٣٣٪ بحلول عام ١٩٩٩.[٧٢] وتكمن أهمية هذه الإحصائيات في أنَّ «الملايين من الأمريكيين يعتقدون أنّ الاستدلالات التي تفهم من قصص إبراهيم، ويوشع، ومن وعد الله بالأرض للشعب العبري صحيحةٌ وينبغي أن يؤخذ معناها حرفياً.» مع ذلك، فإنّ بعض الأميركيين انتقائيون في تفسيراتهم الحرفية للكتاب المقدس، فالبعض لا يعتقدون أن معاني الكتاب المقدس يجب أن تفهم حرفياً، فيما يتعلق بكل جانب من جوانب الاعتقاد المتعلقة بقصة الوعد لإبراهيم بالأرض. وكما ورد في كتاب إرفين أندرسون تفسير الكتاب المقدس وسياسة الشرق الأوسط «فقد كشفت دراسة أعدها المركز الوطني لأبحاث الرأي في جامعة شيكاغو عام ١٩٩٦ أنّ ست وأربعين في المئة من الأميركيين يعتقدون أن الله وعد الأرض لليهود».[٧٣]

وعندما يؤخذ بعين الاعتبار النفوذ والشعبية والقدرة على الاتصال التي يتمتع بها الدعاة الإنجيليون، من أمثال روبرتسون من خلال شبكة البث المسيحية التابعة له، وكتبه الأكثر مبيعاً، فإنَّ تأثير كتاباته وخطاباته على الرأي العام الأميركي وعلى السياسة الأميركية تجاه الشرق الأوسط هو تأثيرٌ ضارٌ للغاية، إذ يؤكد روبرتسون للقارئ أن أي إجراء يتخذ ضد سياسات إسرائيل هو مجرد مقدمة لحرب الشيطان ضد المسيحيين، ولنهاية العالم. وعلى حد قول غريس هالسل: «فحيث أنَّ المسيحيين-الصهاينة يعتقدون أن الله تعالى قد شارك شخصياً في جميع الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل، فإنهم يقرّون بسهولة أنّه ينبغي على الآخرين، ولا سيما الولايات المتحدة، أن تعطي إسرائيل ما تشاء».[٧٤] يرى هالسل أنَّ تأثير هذه المنابر التلفزيونية الإنجيلية، مثل منبر روبرتسون يعد «فضيحة كبرى» تنطوي على «الأبعاد السياسية لدعاة منابر التلفزة الإنجيلية الذين أقنعوا الملايين من أتباعهم أن الله يريدنا أن ننهي العالم»[٧٥].

ومن جانبه، قد تكون اليوم آراء جون هيجي استمراراً للاستشراق الحديث، ودعماً للنزعة الأمريكية المسبقة ضد فلسطين، وأيضاً تأييداً لعقيدة العصر الألفي السعيد أكثر من بات روبرتسون نفسه، إذ يفسر هاجي في كتابه «العد التنازلي للقدس»(Jerusalem Countdown) سفر الرؤيا ليتنبأ بأنّ روسيا والدول العربية سيقومون بغزو إسرائيل، إلا أن الله سيدمرهم ليستهل عصر المجيء الثاني للمسيح. يعرض هاجي دولة إسرائيل واليهود على أنهما ضرورتان للمجيء الثاني للمسيح: «إن إسرائيل ستكون بؤرة آلام الأرض المرتعدة من الخوف في الأيام الأخيرة، وستتركز جميع الأحداث المحورية على الأراضي المقدسة وعلى شعب إبراهيم».[٧٦] ووفقا لهيجي، «فإنّ الدليل على أننا الجيل الأخير هو وجود دولة إسرائيل، إذ تنص نبوءة الكتاب المقدس بشكل لا لبس فيه على أن إسرائيل يجب أن تكون موجودةً قبل مجيء المسيح».[٧٧] يدعو هاجي بقاء إسرائيل في حرب عام ١٩٤٨ «معجزة من الله»[٧٨]، وحرب الأيام الستة في عام ١٩٦٧ «انتصاراً خارقاً للجيش الإسرائيلي»[٧٩]. ووفقا لهاجي، «فإنّ يد الله القوية هي التي حافظت على القدس منذ ولادتها وحتى

٧٠ Pat Robertson. *New World Order*, Dallas: Word Publishing, 1991, 257.

٧١ Anderson. *Biblical Interpretation*, 18.

٧٢ Ibid, 18.

٧٣ Ibid, 19.

٧٤ Grace Halsell, *Prophecy and Politics*: *Militant Evangelists on the Road to nuclear War*, Chicago: Lawrence Hill Books, 1986, 12.

٧٥ Ibid, 14.

٧٦ John Hagee. *Attack on America*: *New York, Jerusalem, and the Role of Terrorism in the Last Days*, Nashville: Thomas Nelson Publishers, 2001, 150.

٧٧ Ibid, 14 - 113.

٧٨ Ibid, 43.

٧٩ Ibid, 46.

اللحظة المذهلة، عندما اخترق الجنود اليهود الجبهة الأردنية وصلّوا معاً عند الحائط الغربي»[٨٠]. وللواحد أن يتعجب متسائلاً: ما الذي كان يهدد مدينة القدس خلال مدة الألفي عام حين لم تكن في أيدي اليهود؟! والجواب ضمنياً في كتاب هيجي هو أنّ العرب والفلسطينيين أنفسهم هم الذين لا يمكن الوثوق بهم لملأ القدس بالسكان، وأنّ الله ذاته هو الذي أنقذ المدينة منهم (تأكيد من الأصل في النص الإنجليزي).

في مزيد من الكتابة عن حرب الأيام الستة يقول هيجي: «في عام ١٩٦٧، وعندما حشدت مصر (جيشها للحرب) دافعت إسرائيل عن نفسها، ثم وقفت في عجب فاغرة الفم، فقد استعاد الله القدس وجبل الهيكل»[٨١]. ولمزيد من الأدلة على أن نهاية العالم قريبة، يقول هيجي:

دليل آخر على أننا في المحطة الأخيرة من الحياة موجودٌ في كلمات يسوع إنّ «القدس، ستداس من قبل الوثنيين حتى يستوفى زمانهم» (لوقا ٢١:٢٤)، يوجد للاّويين في المعبد مزمورٌ خاصٌّ بهم يغنّونه في كل يوم من أيام الأسبوع. لقد دُمّر المعبد الثاني، حيث كان يسوع يتعبد، في ليلة السبت، ورغم ذلك-تقول أسطورة تلمودية: غنّى اللاّويون في تلك الليلة لسبب غير مفهوم أغنية الأربعاء. لماذا؟

ربما أتتهم رؤية تنبؤية للمستقبل. فيوم الأربعاء ٧ حزيران/ يونيو ١٩٦٧، استعادت القوات الإسرائيلية جبل الهيكل، وحكم شعب الله المختار مرة أخرى جبل الله. لقد شهد ذلك اليوم ولادة عهدٍ جديد، وقدّم دليلا آخر على أننا نعيش في الأيام الأخيرة[٨٢].

كما يصف الدعاة الإنجيليون عَلَمَ إسرائيل على أنّه ذو طبيعة إلهية فقد جاء في مقطع بعنوان «علم إسرائيل واسم الله» القول: «جمّع الله الشعب اليهودي من بين الأمم غير اليهودية إلى أرض الميعاد تحت عَلَمه. لقد صمّمه بنفسه، و لبسه اليهود عبر الأجيال»[٨٣].

ولعلّ الأهم، في ما يخص آثار عقيدة ما قبل الألفية المسيحية والصهيونية-المسيحية، وسياسة الولايات المتحدة الشرق أوسطية، أنّ كتابات هيجي ليست أكثر من كتابات جبرية. فوفقاً لهاجي فإنّ المسلمين «يريدون السيطرة على القدس، وللسيطرة على القدس يجب عليهم أن يغزو ويقهروا إسرائيل. فمهما تحدث عرفات أو بوتين أو أعضاء الأمم المتحدة عن السلام، فإنّ الحرب المقدسة قادمة، واتفاقيات السلام الموقعة في السابق غير مجدية لأنّها مثل البنزين في آلات إطفاء الحريق[٨٤].

ولعله سيكون من الأكثر ملاءمة شطب الفكر والمواقف التي اتخذها الصحفيون، المسيحيون الإنجيليون الصهيونيون، وأتباع عقيدة الألفية السعيدة المشمولة بالحديث هنا، وتحليل سياسة الولايات المتحدة من حيث حقائق الواقع الجغرافي-الاستراتيجي، كما أنّه يناسب توجهات معظم المحللين والأكاديميين تجاهل الخطاب الذي يروّجه هؤلاء الأصوليون المسيحيون ونعته بهذيان المتعصبين دينياً، أو ب»البلاهة المفيدة» المستخدمة لتحقيق جدول أعمال المحافظين الجدد الجغرافي-السياسي[٨٥]. ولكن نظراً للأعداد الكبيرة من أتباع هذه المجموعة السكانية في أمريكا ولنفوذها، فإنّنا ببساطة لا نستطيع أن نفعل ذلك، وعلى حد تعبير صادق كبير: «فإنّ التأثير القوي لليمين المسيحي ليس بأي حال من نسج خيال «أميركا الليبرالية»، إنّه في الواقع حقيقيٌ جداً، فبعض الخبراء يعتبر أنّه يمكن العثور على أصل الاستثنائية والأحادية الأميركية في المذهب الإنجيلي، وفي تعبيراته السياسية المشتركة»[٨٦]. يتعين على الولايات المتحدة الاعتراف بمصادر الخطاب الاستشراقي المتحيز والأعوج الذي هيمن على وسائل الإعلام الرئيسية، وتسبب باستمرار السياسة غير المتوازنة تجاه فلسطين-إسرائيل وتجاه السيادة على القدس. ولا يمكن إلا بعد اعتراف وفهم من هذا القبيل أن تتصالح أميركا مع واقع الوضع الفلسطيني، وأن تخلق سياسات تعمل وفق مبادئ حقوق الإنسان والقانون الدولي، والتي من شأنها أن تدعم المصداقية التي طال انتظارها في التعامل مع حقوق وتطلعات الشعب الفلسطيني.

إنّ واحدةً من التحديات الرئيسية التي تواجه أولئك الذين يفهمون الحاجة للولايات المتحدة لاتّباع سياسة أكثر عقلانية تجاه إسرائيل وفلسطين وبخصوص وضع القدس، ويدفعون بهذا الاتجاه، هو أن «نحلة الصهيونية المسيحية، والتي هي الشكل السائد للصهيونية في أمريكا، مع تعاليمها القائمة على نشوة الطرب من الكنيسة، وإعادة بناء الهيكل واقتراب نشوب معركة هرمجدون، هي المنتشرة والمتفشية داخل التيار الأساسي المستقل والكارزمي داخل التجمعات الإنجيلية، فضلاً

٨٠ Ibid, 46.

٨١ Ibid, 93.

٨٢ Ibid, 116 - 117.

٨٣ Ibid, 108.

٨٤ Ibid, 155.

٨٥ Sadegh Kabeer. «Rapture and Apocalypse: How Real is the Evangelical Hold on U.S. Foreign Policy?» *Eteratz Online*, Sunday, August 17th, 2008 (accessed March 11th, 2010).

٨٦ Ibid.

عن العديد من الكنائس المستقلة الكبرى»[٨٧]. تشير التقديرات الحالية إلى وجود ما بين ٢٥ إلى ٣٠ مليون مسيحي صهيوني في أمريكا، ثمانين ألفا منهم رعاة كنسيون أصوليون، تُنشر وجهات نظرهم من خلال ألف محطة إذاعية ومئة محطة تلفزيونية مسيحية.
وإلى جانب تأثير ما يسمى ب «اللوبي الإسرائيلي»، فإنّ لتحالف بات روبرتسون المسيحي الموالي لإسرائيل ميزانية سنوية تبلغ خمسة وعشرين مليون دولار، وأكثر من مليون وسبعمائة عضو، والتحالف المسيحي هذا هو على الأرجح المنظمة صاحبة النفوذ السياسي الأكبر في الولايات المتحدة اليوم. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ «تحالف الوحدة الوطنية من أجل إسرائيل، والذي يجمع مئتين من مختلف المنظمات الصهيونية اليهودية والمسيحية معاً يتمتع بقاعدة دعم تضمُّ أربعين مليون عضو ناشط[٨٨].
وبعبارة أخرى، فإنّ أولئك الذين يؤيدون هذه السياسة غير المتوازنة، التي تضرب بجذورها في التفسير الحرفي للتوراة، حسنوا التنظيم وجيدوا التمويل، ويمثلون قوة سياسية هائلة في الساحة السياسية الأميركية. حتى أنه من الأكثر إشكاليةً هو أن وجهات النظر حول فلسطين-إسرائيل، التي يحتفظ بها هذا الجزء من الأميركيين المسكونة والمتجذرة في معتقداتهم الدينية تمنعهم من «القدرة على التفكير بشكل ناقدٍ وأخلاقي حول ما يحدث في الواقع هناك، فعلى سبيل المثال، فإنّ العديد من الإنجيليين يترددون حتى بمجرد النظر أو التفكير في القضايا الأخلاقية التي ينطوي عليها الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية.[٨٩]» إنّ عدم القدرة على التفكير والتصرف بشكل حاسم يعدُّ عقبةً كبيرةً يجب التغلب عليها من أجل إيجاد سياسة عقلانية متجذرة في الواقع الحقيقي، سياسة يتم تبنيها في السير خطوة حقيقية نحو السلام.
وليس من المؤكد تماماً إلى أين ستتجه سياسة الولايات المتحدة، وما إذا كانت الظروف الملائمة للسلام ستتحسن. ولكن «وكما يوضح التاريخ المسيحي، فإذا وضع الاعتقاد بمذهب التحكم الإلهي في الكون، والسيادة الإلهية، والإيمان بالآخرة في أيدي غير أمينة فإنه يصبح إيماناً بالقضاء والقدر، والإيمان بالقضاء والقدر ينزع الأهمية من عمل الإنسان.[٩٠]» وإذا أصبحت هذه النظرة القدرية للصراع العربي الإسرائيلي أكثر بروزاً، ولم تقم الولايات المتحدة بضبط وتعديل خطابها غير العادل وسياساتها غير المتوازنة تاريخياً، فإنّ احتمال السلام في فلسطين-إسرائيل سوف يضيع إلى الأبد، ومن أجل هزيمة هذا الرأي الجبري للصراع لا بد من تحويل السرد المهيمن داخل واحدة من أهم العناصر الفاعلة، الولايات المتحدة. ومن أجل أن يصبح هذا التغيير واقعاً مكان، فإنّ تفقد الرواية البديلة، وهي رواية تأخذ بالحسبان وبدقة الطرد الجماعي لعرب فلسطين عام ١٩٤٨، وتعترف بشرعية حقوق الفلسطينيين في بلدهم،و»وضعها كرواية معارضة» في الذاكرة الجماعية للشعب الأميركي. ونأمل أن هذه الدراسة الموجزة سوف تكون مساهمة صغيرة من أجل إلغاء وضع المعارِضة للروايات البديلة لحروب عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧.

---

٨٧ Sizer, *Christian Zionism*, 23.

٨٨ Ibid, 23 - 24.

٨٩ Weber, Timothy P., «How Evangelical Became Israel's Best Friend,» Christianity Today, October 5th, 1998 (accessed November 10th, 2009), 8.

٩٠ Weber, «How Evangelicals,» 7.